شرح

الأصول الستة

لفضيلة الشيخ

محمد بن صالح العثيمين

حفظه الله تعالى

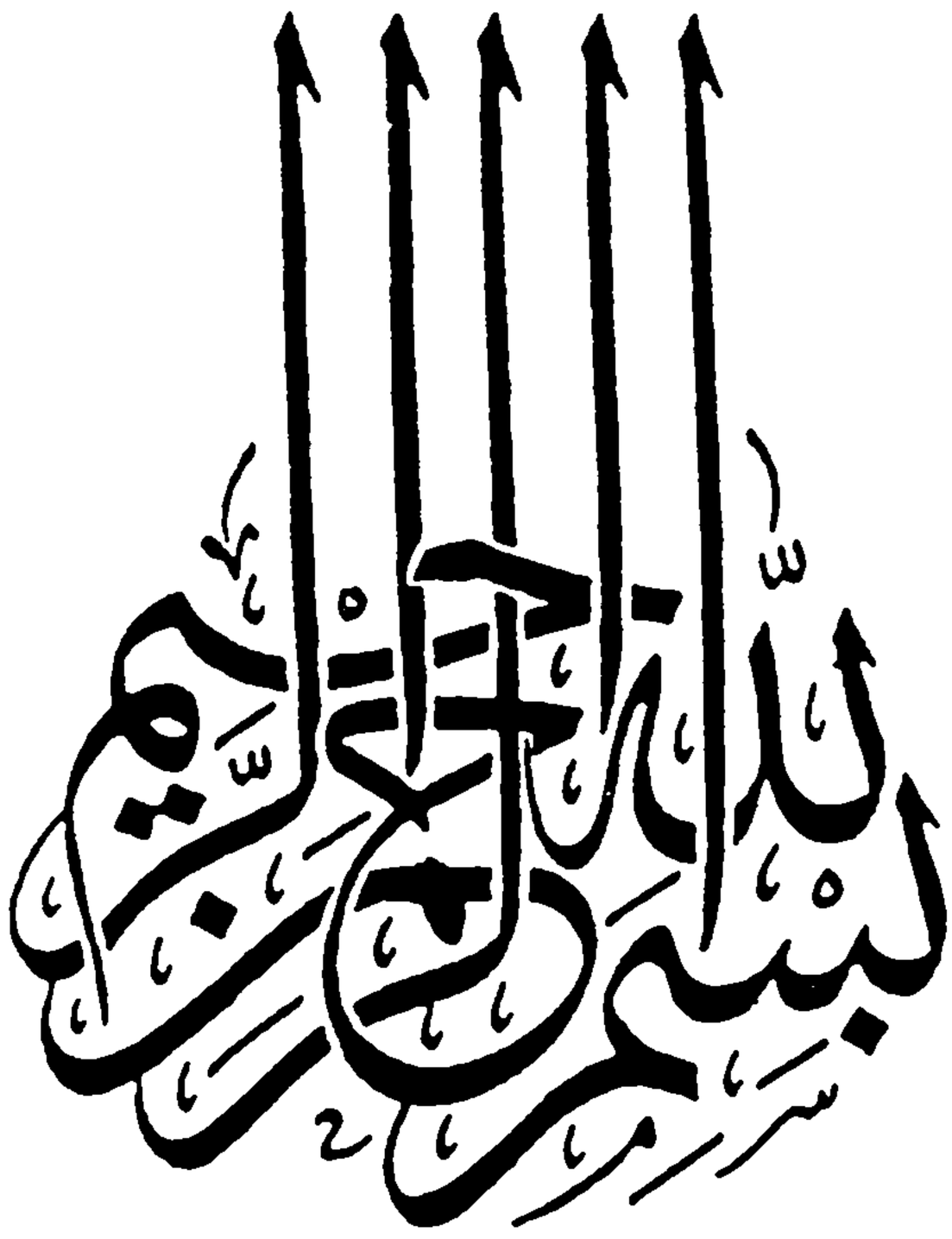
بسم الله الرحمن الرحيم

ترجمة المؤلف
شيخ الإسلام الإمام
محمد بن عبدالوهاب

*** نسبه :**

هو الإمام الشيخ محمد بن عبدالوهاب بن سليمان بن علي بن محمد بن أحمد بن راشد بن بريد بن محمد بن مشرف بن عمر من أوهبة بني تميم .

*** مولده :**

وُلِد هذا العالِمْ في بلدة العيينة سنة **١١١٥** هجرية في بيت علم وشرف ودين ، فأبوه عالِمْ كبير وجده سليمان عالِمْ نجد في زمانه .

*** نشأته :**

حفظ القرآن قبل بلوغ عشر سنين ، ودرس في الفقه حتى نال حظاً وافراً ، وكان موضع الاعجاب من والده لقوة حفظه ، وكان كثير المطالعة في كتب التفاسير والحديث ، وجد في طلب العلم ليلاً ونهاراً فكان يحفظ المتون العلمية في شتى الفنون ، ورحل في طلب العلم في ضواحي نجد وفي مكة وقرأ على علمائها ، ثم رحل إلى المدينة النبوية فقرأ على علمائها ومنهم العلاّمة الشيخ عبدالله بن إبراهيم الشمّري ، كما قرأ على ابنه الفرضي الشهير إبراهيم الشمّري مؤلف العذب الفائض في شرح ألفية الفرائض وعرّفاه بالمحدث الشهير

محمـد حياة السنـدي فقـرأ عليه في علم الحديث ورجاله وأجازه بالأمهات، وكان الشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ رحمه الله تعالى ـ قد وهبه الله فهماً ثاقباً، وذكاءً مفرطاً، وأكب على المطالعة والبحث والتأليف، وكان يثبت ما يمر عليه من الفوائد أثناء القراءة والبحث وكان لا يسأم من الكتابة، وقد خط كتبا كثيرة من مؤلفات ابن تيمية وابن القيم ـ رحمهما الله ـ ولا تزال بعض المخطوطات الثمينة بقلمه السيال موجودة بالمتاحف.

ولمـا توفي والـده أخـذ يعلن جهـراً بالـدعـوة السّلفيّة إلى توحيد الله وانكار المنكر ويهاجم المبتدعة وغيرهم من المشركين، وقد شدّ أزره الولاة من آل سعود وقويت شوكته وذاع خبره.

* **مؤلفاتـه:**

له ـ رحمه الله تعالى ـ مؤلفات نافعة نذكر منها:

١ ـ الكتاب الجليل المفيد المسمى «كتاب التوحيد».

٢ ـ كـشـف الشـبـهـات.

٣ ـ الـكـبـائـر.

٤ ـ مـخـتـصـر الإنصـاف والشـرح الكبير.

٥ ـ مـخـتـصـر زاد المـعـاد.

٦ ـ فتاوى ورسائل جمعت باسم مجموعة مؤلفات الإمام محمد بن عبدالوهاب تحت إشراف جامعة الإمام محمد بن سعود.

*** وفاتـــه :**

وقد توفي رحمه الله تعالى عام ١٢٠٦هـ فرحمه الله رحمة واسعة وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء إنه سميع مجيب والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

بقلـــم

فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان

عفـا الله عنـــه

ترجمة الشارح
فضيلة الشيخ
محمد بن صالح العثيمين
- حفظه الله تعالى -

❊ نسبه:

هو أبو عبدالله محمد بن صالح بن محمد بن عثيمين الوهيبي التميمي.

❊ مولده:

وُلِدَ في مدينة عنيزة في **٢٧** رمضان المبارك **١٣٤٧**هـ.

❊ نشأته:

قرأ القرآن الكريم على جده من جهة أمه عبدالرحمن بن سليمان آل دامغ - رحمه الله - فحفظه ثم اتجه إلى طلب العلم فتعلم الخط والحساب وبعض فنون الآداب، وكان الشيخ عبدالرحمن السعدي - رحمه الله - قد أقام إثنين من طلبة العلم عنده لِيُدَرِّسا الطلبة الصغار أحدهما الشيخ علي الصالحي والثاني الشيخ محمد بن عبدالعزيز المطوع - رحمه الله - قرأ عليه مختصر العقيدة الواسطية للشيخ عبدالرحمن السعدي ومنهاج السالكين في الفقه للشيخ عبدالرحمن أيضاً، والآجرومية والألفية.

وقرأ على الشيخ عبدالرحمن بن علي بن عودان في الفرائض والفقه وقرأ على الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي الذي يُعتبر شيخـه الأول حيث لازمـه وقـرأ عليه التوحيد والتفسير والحديث والفقه وأصول الفقه والفرائض ومصطلح الحديث والنحو والصرف.

وكانت لفضيلة الشيخ منزلة عظيمة عند شيخه ـ رحمه الله ـ فعندما انتقل والد الشيخ محمد ـ رحمه الله ـ إلى الرياض إبان أول تطوره رغب في أن ينتقل معه فضيلة ولده الشيخ حفظه الله فكتب له الشيخ عبدالرحمن السعدي ـ رحمه الله ـ (إن هذا لا يمكن نريد محمداً أن يمكث هنا حتى يستفيد).

ويقول فضيلة الشيخ ـ حفظه الله ـ «إنني تأثرت به كثيراً في طريقـة التدريس وعرض العلم وتقريبه للطلبة بالأمثلة والمعاني، وكذلك أيضاً تأثرت به من ناحية الأخلاق لأن الشيخ عبدالرحمن ـ رحمه الله ـ كان على جانب كبير من الأخلاق الفاضلة وكان رحمه الله ـ على قدر كبير في العلم والعبادة، وكان يمازح الصغير ويضحك إلى الكبير وهو من أحسن من رأيت أخلاقاً».

قرأ على سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز حيث يعتبر شيخه الثـاني فإبتـدأ عليه قراءة صحيح البخـاري وبعض رسائل شيخ الإسلام ابن تيمية وبعض الكتب الفقهية.

يقول الشيخ «تأثرت بالشيخ عبدالعزيز بن باز ـ حفظه الله ـ

من جهة العناية بالحديث وتأثرت به من جهة الأخلاق أيضاً وبسط نفسه للناس» .

وفي عام ١٣٧١هـ جلس للتدريس في الجامع، ولما فتحت المعاهد العلمية في الرياض التحق بها في عام ١٣٧٢هـ يقول الشيخ ـ حفظه الله ـ :

«دخلت المعهد العلمي من السنة الثانية، والتحقت به بمشورة من الشيخ علي الصالحي، بعد أن استأذنت من الشيخ عبدالرحمن السعدي عليه رحمة الله، وكان المعهد العلمي في ذلك الوقت ينقسم إلى قسمين خاص وعام، فكنت في القسم الخاص، وكان في ذلك الوقت أيضاً من شاء أن يقفز ـ كما يعبرون ـ بمعنى أنه يدرس السنة المستقبلة له في أثناء الاجازة ثم يختبرها في أول العام الثاني، فإذا نجح انتقل إلى السنة التي بعدها وبهذا اختصرت الزمن» ا . هـ .

وبعد سنتين تخرج وعين مدرساً في معهد عنيزة العلمي مع مواصلة الدراسة انتساباً في كلية الشريعة ومواصلة طلب العلم على يد الشيخ عبدالرحمن السعدي .

ولما توفي فضيلة الشيخ عبدالرحمن السعدي ـ رحمه الله ـ تولى إمامة الجامع الكبير بعنيزة والتدريس في مكتبة عنيزة الوطنية بالإضافة إلى التدريس في المعهد العلمي ثم انتقل إلى التدريس في كليتي الشريعة وأصول الدين بفرع جامعة الإمام محمد بن سعود

الإسـلامية بالقصيم حتى الآن، بالإضافة إلى عضوية هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية، ولفضيلة الشيخ حفظه الله نشاط كبير في الدعوة إلى الله عز وجل وتبصير الدعاة في كل مكان وله جهود مشكورة في هذا المجال.

والجـدير بالذكر أن سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم ـ رحمه الله ـ قد عرض بل ألـح على فضيلة الشيخ في تولي القضاء، بل أصـدر قراره بتعيينـه حفـظه الله تعـالى رئيساً للمحكمة الشرعية بالأحساء فطلب منه الاعفاء، وبعد مراجعات واتصال شخصي من فضيلة الشيخ سمح رحمه الله تعالى بإعفائه من منصب القضاء.

*** مؤلفاتـــــه:**

له حفـظه الله تعـالى مؤلفـات كثيرة تبلغ ٤٠ مابين كتاب ورسالة وسوف تجمع إن شاء الله تعالى في مجموع الفتاوى والرسائل.

شرح
الأصول
الستة

قَالَ المُؤلِفُ شَيْخُ الإِسْلام :

بسم الله الرحمن الرحيم مِنْ أَعْجَب العَجَاب، وَأَكْبَرُ الآيات الـدَّالـة على قُدْرة المَلِك الغَلاب سِتَّةِ أُصُولٍ بَيَّنَها الله تعالى بَيَاناً واضحاً للعَوْام فَوْق ما يَظُنُّ الظَّانون، ثُمَّ بَعْدَ هَذَا غَلِطَ فيها كَثِيرٌ مِنْ أَذْكِياء العَالَمِ وَعُقلاء بَنِي آدم إلاَّ أَقَلُ الْقليل.

الشـــــرح

قولـه «بســـم اللـه»

ابتدأ المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ كتابه بالبسملة إقتداءً بكتاب الله ـ عز وجل ـ فإنه مبدوء بالبسملة، واقتداءً برسول الله ﷺ فإنه يبدأ كتبه ورسائله بالبسملة.

والجـار والمجرور متعلق بفعل محذوف مؤخر مناسب للمقام تقديره هنا بسم الله أكتب.

وقدرناه فعلاً لأن الأصل في العمل الأفعال.

وقدرناه مؤخرا لفائدتين:

الأولى: التبرك بالبداءة باسم الله تعالى.

الثانية: إفادة الحصر لأن تقديم المتعلق به يفيد الحصر.

وقدرناه مناسباً لأنه أدل على المراد فلو قلنا مثلاً عندما نريد

أن نقرأ كتاباً باسم الله نبتدىء، ما يدرى بماذا نبتدىء، لكن بسم الله نقرأ أدل على المراد.

قولـه: «**اللـــه**»

لفظ الجلالة علم على الباري ـ جل وعلا ـ وهو الإسم الذي تتبعه جميع الأسماء حتى إنه في قوله تعالى: ﴿**كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد الله الـذي له ما في السـماوات ومـا في الأرض**﴾، [سورة إبراهيم، الآيتـان: ١، ٢]. لا نقول إن لفظ الجلالة (الله) صفة بل نقول هي عطف بيان لئلا يكون لفظ الجلالة تابعاً تبعية النعت للمنعوت، ولهذا قال العلماء أعرف المعارف لفظ (الله) لأنه لا يدل على أحد سوى الله عز وجل.

قولـه: «**الرحمـن**»

الرحمن: اسم من الأسماء المختصة بالله لا يطلق على غيره.

ومعناه: المتصف بالرحمة الواسعة.

قولـه: «**الرحيـم**»

الرحيم: اسم يطلق على الله عز وجل وعلى غيره.

ومعنـاه: ذو الـرحمة الواصلة، فالرحمن ذو الرحمة الواسعة، والـرحيم ذو الـرحمـة الواصلة فإذا جمعا صار المراد بالرحيم المـوصـل رحمتـه إلى من يشاء من عباده كما قال الله تعالى: ﴿**يعـذب من يشـاء ويرحم من يشاء وإليه تقلبون**﴾ [سورة

العنكبوت، الآية: ٢١]. والمراد بالرحمن الواسع الرحمة.

قولـه: «**من أعجب العجاب، وأكبر الآيات الدالة على قدرة الملك الغلاب ستة أصول. . . . إلخ**»

شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب ـ رحمه الله تعالى ـ له عناية بالرسائل المختصرة التي يفهمها العامي وطالب العلم، ومن هذه الرسائل هذه الرسالة (ستة أصول عظيمة) وهي:

الأصل الأول: الإخلاص وبيان ضده وهو الشرك.

الأصل الثاني: الاجتماع في الدين والنهي عن التفرق فيه.

الأصل الثالث: السمع والطاعة لولاة الأمر.

الأصل الرابع: بيان العلم والعلماء، والفقه والفقهاء، ومن تشبه بهم وليس منهم.

الأصل الخامس: بيان من هم أولياء الله.

الأصل السادس: رد الشبهة التي وضعها الشيطان في ترك القرآن والسنة.

وهذه الأصول أصول مهمة جديرة بالعناية، ونحن نستعين بالله تعالى في شرحها والتعليق عليها بما يسر الله.

الأصل الأول

إِخْلَاصُ الدين لله تعالى وَحْدَهُ لا شَرِيكَ له ، وبَيَانُ ضِدِّه الَّذي هُو الشّرْكُ بالله، وكون أَكْثَر القُرْآن في بَيَان هَذَا الأصْل مِنْ وُجُوه شَتَّى بِكَلام يَفْهَمْه أبْلَدُ العَامَة، ثُمَّ لَمَا صَار عَلى أَكْثَر الأمَّةِ ما صَارَ أظهـر لَهُمُ الشيـطان الإِخلاص في صُوْرَةِ تنقص الصَّالِحين والتَقْصِـير في حُقُـوقِهِمْ، وأظْهَـرَ لَهُمْ الشرْك بالله في صُوْرَةِ مَحَبـة الصَّالِحِين وأتْبَاعِهِمْ.

الشـــــرح

قوله: «**إخلاص الدين لله تعالى وحده لا شريك له. . . .**».

الإخلاص لله معناه: «أن يقصد المرء بعبادته التقرب إلى الله تعالى والتوصل إلى دار كرامته». بأن يكون العبد مخلصاً لله تعالى في قصده مخلصاً لله تعالى في محبته، مخلصاً لله تعالى في تعظيمه، مخلصاً لله تعالى في ظاهره وباطنه لا يبتغي بعبادته إلا وجـه الله تعالى والوصول إلى دار كرامته كما قال تعالى: ﴿قُـل إنّ صلاتي ونُسكيِ وَمحيايَ وَمَماتي لله ربِّ العَالمينَ لاَ

شريكَ له وَبذِلكَ أمرتُ وأنا أوّل المُسلمين﴾. [سورة الأنعام، الآيتان: ١٦٢، ١٦٣]. وقوله تعالى: **﴿وَأنيبوا إلى رَبكِم وَأسلُموا له﴾**، [سورة الزمر، الآية: ٥٤] وقوله: **﴿وإلَهُكُم إلهٌ واحدٌ لا إله إلا هُو الرَّحمنُ الرحيم﴾**، [سورة البقرة، الآية: ١٦٣]. وقوله: **﴿فإلهُكُم إلـه واحدٌ فلهُ أسلمُوا﴾** [سورة الحج، الآية: ٣٤]. وقد أرسل الله تعالى جميع الرسل بذلك كما قال تعالى: **﴿وَما أرسَلنَا من قَبلِكَ من رسُولٍ إلَّا نُوحي إليهِ أنهُ لا إلهَ إلَّا أنْا فاعبُدونِ﴾** [سورة الأنبياء، الآية: ٢٥]. وكما وضح الله ذلك في كتابه كما قال المؤلف: «من وجوه شتى بكلام يفهمه أبلد العامة» فقد وضحه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد جاء عليه الصلاة والسلام بتحقيق التوحيد وإخلاصه وتخليصه من كل شائبة، وسد كل طريق يمكن أن يوصل إلى ثلم هذا التوحيد أو إضعافه، حتى إن رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وسلم «ما شاء الله وشئت» فقال النبي ﷺ: «**أجعلتني لله نداً بل ما شاء الله وحده**»(١)، فأنكر النبي ﷺ على هذا الرجل أن يقرن مشيئته بمشيئة الله تعالى بحرف يقتضي التسوية بينهما، وجعل ذلك من اتخاذ الند لله ـ عز وجل ـ، ومن ذلك أيضاً أن النبي

---

(١) أخرجه الإمام أحمد جـ١ ص٢١٤، ص٢٢٤، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» ص٢٨٦ رقم (٩٩٤-٩٩٥)، وعبدالرزاق في «المصنف» جـ١١، ص٢٧، والبخاري في «الأدب المفرد» ص٢٣٤.

ﷺ حرم الحلف بغير الله وجعل ذلك من الشرك بالله فقال ﷺ: «**من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك**»(١) وذلك لأن الحلف بغير الله تعظيم للمحلوف به بما لا يستحقه إلا الله عز وجل، وحينما قدم عليه وفد فقالوا: «يا رسول الله، ياخيرنا وابن خيرنا، وسيدنا وابن سيدنا» قال: «**يا أيها الناس قولوا بقولكم ولا يستهوينكم الشيطان، أنا محمد عبدالله ورسوله، ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عز وجل**»(٢) وقد عقد المصنف رحمه الله لذلك باباً في كتاب التوحيد. فقال: «باب ما جاء في حماية المصطفى ﷺ حمى التوحيد وسده طرق الشرك».

وكما بين الله تعالى الإخلاص وأظهره بين ضده وهو الشرك فقال تعالى: ﴿**إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء**﴾ [سورة النساء، الآية: ١١٦] وقال تعالى: ﴿**واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً**﴾ [سورة النساء، الآية: ٣٦].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد جـ٢ ص١٢٥، وأبو داود/ كتاب الإيمان والنذور/ باب الحلف بغير الله تعالى، والترمذي/ كتاب النذور/ باب كراهية الحلف بغير الله. وقال: حديث حسن، والبيهقي في «السنن» جـ١٠ ص٢٩، والبغوي في «شرح السنة» جـ١٠ ص٧، والحاكم في «المستدرك» جـ١ ص٦٥، وقال: «حديث صحيح على شرط الشيخين»

(٢) أخرجه الإمام أحمد جـ٣ ص٢٤١، وعبدالرزاق في «المصنف» جـ١١ ص٢٧٢، والبخاري في «الأدب المفرد» رقم (٨٧٥).

وقال: ﴿**ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن أعبدوا الله واجتنبوا الـطاغوت**﴾، [سورة النحل، الآية: ٣٦] والآيات في ذلك كثيرة.
ويقول النبي ﷺ: «**من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار**»(١) رواه مسلم من حديث جابر.
والشرك على نوعين:

النـوع الأول: شرك أكبر مخرج عن الملة وهو: «كل شرك أطلقه الشارع وهو مناف للتوحيد منافاة مطلقة» مثل أن يصرف شيئاً من أنواع العبادة لغير الله بأن يصلي لغير الله أو يذبح لغير الله، أو ينذر لغير الله، أو أن يدعو غير الله تعالى مثل أن يدعو صاحب قبر، أو يدعو غائباً لانقاذه من أمر لا يقدر عليه إلا الحاضر، وأنواع الشرك معلومة فيما كتبه أهل العلم.

النوع الثاني: الشرك الأصغر وهو «كل عمل قولي أو

---

(١) أخرجه البخاري/ كتاب العلم/ باب من خص بالعلم قوماً دون قوم كراهية أن لا يفهموا، ومسلم/ كتاب الإيمان/ باب من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة ومن مات مشرك دخل النار.

فعلي أطلق عليه الشارع وصف الشرك لكنه لا ينافي التوحيد منافاة مطلقة» مثل الحلف بغير الله فالحالف بغير الله الذي لا يعتقد أن لغير الله تعالى من العظمة ما يماثل عظمة الله مشرك شركاً أصغر، ومثل الرياء وهو خطير قال فيه النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر فسئل عنه؟ فقال: الرياء**»(١) وقد يصل الرياء إلى الشرك الأكبر، وقد مثل ابن القيم ـ رحمه الله ـ للشرك الأصغر بيسير الرياء وهذا يدل على أن كثير الرياء قد يصل إلى الشرك الأكبر، وقد ذهب بعض أهل العلم إلى أن قوله تعالى: ﴿**إن الله لا يغفرُ أن يشرك به**﴾ [سورة النساء، الآية: ١١٦]. يشمل كل شرك ولو كان أصغر، فالواجب الحذر من الشرك مطلقاً فإن عاقبته وخيمة قال الله تعالى: ﴿**إنهُ من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار**﴾، [سورة المائدة، الآية: ٧٢] فإذا حرمت الجنة على المشرك لزم أن يكون خالداً في النار أبداً، فالمشرك بالله تعالى قد خسر الآخرة لاريب لأنه في النار خالداً، وخسر الدنيا لأنه قامت عليه

---

(١) أخرجه الإمام أحمد جـ٥ ص٤٢٨، وابن أبي شيبة في «الإيمان» ص٨٦ باب الخروج من الإيمان بالمعاصي، والهيثمي في «المجمع» جـ١٠ ص٢٢٢ وقال: «رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير عبدالله بن شبيب بن خالد وهو ثقة».

الحجة وجاءه النذير ولكنه خسر لم يستفد من الدنيا شيئاً قال الله تعالى: ﴿**قُل إنّ الخاسرِين الذين خسرُوا أنفسهُم وأهليهم يومَ القِيَامةِ ألا ذَلِك هُو الخُسران المُبينُ**﴾ [سورة الزمر، الآية: ١٥]. فخسر نفسه لأنه لم يستفد منها شيئاً وأوردها النار وبئس الورد المورود، وخسر أهله لأنهم إن كانوا مؤمنين فهم في الجنة فلا يتمتع بهم، وإن كانوا في النار فكذلك لأنه كلما دخلت أمة لعنت أختها.

واعلم أن الشرك خفي جداً وقد خافه خليل الرحمن وأمام الحنفاء كما حكى الله عنه: ﴿**واجنُبني وبنيَّ أن نعبُدَ الأصنام**﴾[سورة إبراهيم، الآية: ٣٥]. وتأمل قوله: ﴿**واجنُبني**﴾ ولم يقل: «وامنعني» لأن معنى اجنبني أي إجعلني في جانب عبادة والأصنام في جانب، وهذا أبلغ من أمنعني لأنه إذا كان في جانب وهي في جانب كان أبعد، وقال ابن أبي مليكة: «أدركت ثلاثين من أصحاب رسول الله ﷺ كلهم يخاف النفاق على نفسه»(١) وقال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه لحذيفة ابن اليمان: «أنشدك الله هل سماني لك رسول الله ﷺ مع من سمى من المنافقين» مع أن الرسول صلى الله

---

(١) أخرجه البخاري/ كتاب الإيمان/ باب خوف المؤمن أن يحبط عمله وهو لا يشعر.

عليه وسلم بشره بالجنة ولكنه خاف أن يكون ذلك لما ظهر لرسـول الله ﷺ من أفعـاله في حياته، فلا يأمن النفاق إلا منافق، ولا يخاف النفاق إلا مؤمن، فعلى العبد أن يحرص على الإخـلاص وأن يجاهـد نفسـه عليه قال بعض السلف «ما جاهدت نفسي على شيء ما جاهدتها على الإخلاص» فالشرك أمره صعب جداً ليس بالهين ولكن الله ييسر الاخلاص على العبد وذلك بأن يجعل الله نصب عينيه فيقصد بعمله وجه الله.

الأصل الثاني

أَمَرَ الله بالاجْتِمَاع في الدِّيْنِ ونَهَى عَنْ التَّفرق فيه، فبين الله هذا بيـانـاً شافيـاً تَفْهَمـه العَوَام، ونَهانا أن نَكُون كَالذين تَفَرقُوا واخْتَلَفوا قَبْلِنَا فَهَلَكُوا، وَذَكر أَنَّهُ أَمَرَ المُسْلِمين بالاجْتِماع في الدِّيْنَ ونَهَاهُمْ عَن التَّفَـرقُ فيـه، وَيَزِيْدُهُ وُضُوحاً مَا وَرَدَت بِهِ السُّنَّة مِنْ العَجَبَ العُجَاب في ذلك، ثُمَّ صَارَ الأمْرُ إلى أنَّ الافْتِرَاق في أصُول الدِّيْنِ وفروعه هُو العَلم والفِقْه في الدِّين، وصَار الاجْتِمَاع في الدِّين لا يَقُوله إلا زنْدِيق أو مَجْنُون.

الشـــــرح

قوله: «أمر الله بالاجتماع في الدين ونهى عن التفرق فيه.. إلخ»

الأصل الثاني من الأصول التي ساقها الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ الاجتماع في الدين والنهي عن التفرق فيه، وهذا الأصل العظيم قد دل عليه كتاب الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ، وعمل الصحابة رضى الله عنهم والسلف الصالح رحمهم الله تعالى:

أما كتاب الله تعالى: فقد قال الله ـ عز وجل ـ: ﴿يا أيُّها

الـذين آمنـوا اتقُـوا الله حقّ تُقاتِه ولا تموتُنّ إلاَّ وأنتُمْ مُسلمُون واعتصموا بِحَبل الله جَميعاً ولاَ تفرقُوا واذكرُوا نعمةَ الله عليكُم إذ كُنتم أعداءً فألفَّ بينَ قُلوبكُم فأصبحتم بِنعمته إخواناً وكُنتمُ على شَفا حُفرةٍ مِن النَّارِ فأنقَذكُم منها كَذلكَ يُبين الله لكم آياتَهِ لَعّلكم تَهتـدون﴾[سـورة آل عمـران، الآيتـان: ١٠٢، ١٠٣]. وقال تعالى: ﴿ولا تكونُوا كالذينَ تَفرقُوا واختلفوا من بعد مَا جَاءُهم البَيّناتِ وأولئكَ لهم عذابٌ عَظيم﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٠٥]. وقال تعالى: ﴿ولا تَنـازَعُـوا فَتفْشلُوا وَتـذهبَ ريحُكم﴾[سـورة الأنفـال، الآية: ٤٦] وقال تعالى: ﴿إن الذين فَرقوا دينهم وكانوا شيعاً لَستَ منهُم في شيء﴾ [سورة الأنعام، الآية: ١٥٩] وقال تعالى: ﴿شرعَ لكمْ من الدين ما وصّى به نُوحاً والذي أوحيْنَا اليكْ وما وَصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقُيموا الدّينَ ولاَ تتفرقوا فيه﴾ [سورة الشورى، الآية: ١٣].

ففي هذه الآيات نهى الله تعالى عن التفرق وبين عواقبه الوخيمة على الفرد والمجتمع والأمة بأسرها.

وأما دلالة السنة على هذا الأصل العظيم: فقد قال رسول الله ﷺ: «**المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره، التقوى ههنا، التقوى ههنا ـ ويشير إلى صدره ـ بحسب امرىء**

من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه وعـرضه وماله»(١)، وفي رواية: «**لا تحاسدوا، ولا تباغضوا ولا تجسسوا، ولا تحسسوا ولا تناجشوا وكونوا عباد الله إخواناً**» وفي رواية: «**لا تقاطعوا، ولا تدابروا، ولا تباغضوا، ولا تحاسدوا وكـونـوا عبـاد الله إخـوانـاً**»(٢). ويقول عليه الصلاة والسلام: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً**»(٣)وقال عليه الصلاة والسلام لأبي أيوب رضى الله عنه: «**ألا أدلك على تجارة؟**» قال: بلى يا رسـول الله. قال: «**تسعى في الإصـلاح بين النـاس إذا تفاسدوا، وتقارب بينهم إذا تباعدوا**»(٤)وفي مقابلة أمر النبي ﷺ المؤمنين بالتحاب والتالف ومحبة الخير والتعاون على البر والتقوى وفعل الأسباب التي تقوي ذلك وتنمية في مقابلة ذلك نهى النبي ﷺ عن كل ما يوجب تفـرق المسلمـين وتبـاعدهم وذلك لما في التفـرق والبغضـاء من المفـاسـد العـظيمة فالتفرق هو قرة عين شياطين الجن والإنس، لأن شياطين الإنس والجن لا يودون من

---

(١) أخرجه البخاري / كتاب الإكراه/ باب يمين الرجل لصاحبه: إنه أخوه إذا خاف عليه القتل أو نحوه، ومسلم/ كتاب البر والصلة/ باب تحريم الظلم.

(٢) أخـرجه البخاري/ كتاب الأدب/ باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر، ومسلم/ كتاب البر والصلة/ باب تحريم التحاسد والتباغض.

(٣) أخـرجـه البخاري/ كتاب الأدب/ باب تعاون المؤمنين بعضهم بعضاً، ومسلم/ كتاب البر والصلة/ باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم.

(٤) الهيثمي / في المجمع جـ٨ ص٨٠.

أهل الإسلام أن يجتمعوا على شيء فهم يريدون أن يتفرقوا لأنهم يعلمون أن التفرق تفتت للقوة التي تحصل بالالتزام والاتجاه إلى الله عز وجل.

فالنبي ﷺ حث على التآلف والتحاب بقوله وفعله، ونهى عن التفرق والاختلاف الذي يؤدي إلى تفريق الكلمة وذهاب الريح.

وأما عمل الصحابة: فقد وقع بينهم رضى الله عنهم الاختلاف، لكن لم يحصل به التفرق ولا العدواة ولا البغضاء، فقد حصل الخلاف بينهم في عهد رسول الله ﷺ ورسول الله بين أظهرهم فمن ذلك أن النبي ﷺ لما فرغ من غزوة الأحزاب، وجاءه جبريل يأمره أن يخرج إلى بني قريظة لنقضهم العهد قال النبي ﷺ لأصحابه: «**لا يصلين أحد منكم العصر إلا في بني قريظة**»(١) فخرجوا من المدينة إلى بني قريظة وحان وقت صلاة العصر فقال بعضهم: لا نصلي إلا في بني قريظة ولو غابت الشمس، لأن النبي ﷺ قال: «**لا يصلين أحد منكم العصر إلا في بني قريظة**» فنقول سمعنا وأطعنا.

---

(١) أخرجه البخاري/ كتاب الخوف/ باب صلاة الطالب والمطلوب راكباً وإيماءً، ومسلم/ كتاب الجهاد والسير/ باب المبادرة بالغزو. . . .

ومنهم من قال: نصلي في الوقت لأن رسول الله ﷺ أراد بذلك المبادرة والإسراع إلى الخروج ولم يرد منا تأخير الصلاة فبلغ ذلك النبي ﷺ فلم يعنف أحداً منهم ولم يوبخه على ما فهم، وهم بأنفسهم رضى الله عنهم لم يتفرقوا من أجل اختلاف الرأي في فهم حديث رسول الله ﷺ.

أما عمل السلف الصالح: فإن من أصول أهل السنة والجماعة في المسائل الخلافية أن ما كان الخلاف فيه صادراً عن اجتهاد وكان مما يسوغ فيه الاجتهاد فإن بعضهم يعذر بعضاً بالخلاف ولا يحمل بعضهم على بعض حقداً، ولا عداوة، ولا بغضاء بل يعتقدون أنهم إخوة حتى وإن حصل بينهم هذا الخلاف، حتى إن الواحد منهم ليصلي خلف من يرى أنه ليس على وضوء ويرى الإمام أنه على وضوء، مثل أن يصلي خلف شخص أكل لحم إبل وهذا الإمام يرى أنه لا ينقض الوضوء، والمأموم يرى أنه ينقض الوضوء فيرى أن الصلاة خلف ذلك الإمام صحيحة وإن كان هو لو صلاها بنفسه لرأى أن صلاته غير صحيحة، كل هذا لأنهم يرون أن الخلاف الناشىء عن اجتهاد فيما يسوغ فيه الاجتهاد ليس في الحقيقة بخلاف، لأن كل واحد من المختلفين قد تبع ما يجب عليه إتباعه من الدليل الذي لا يجوز له العدول عنه، فهم

يرون أن أخاهم إذا خالفهم في عمل ما إتباعاً للدليل هو في الحقيقة قد وافقهم، لأنهم يدعون إلى إتباع الدليل أينما كان، فإذا خالفهم موافقة لدليل عنده فهو في الحقيقة قد وافقهم، لأنه تمشى على ما يدعون إليه ويهدون إليه من تحكيم كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ.

أما مالا يسوغ فيه الخلاف فهو ما كان مخالفاً لما كان عليه الصحابة والتابعون، كمسائل العقائد التي ضل فيها من ضل من النـاس، ولم يحصـل فيها الخلاف إلا بعد القرون المفضلة ـ أي لم ينتشر الخلاف إلا بعد القرون المفضلة ـ وإن كان بعض الخلاف فيها موجودا في عهد الصحابة ولكن ليعلم إننا إذا قلنا قرن الصحابة ليس المعنى أنه لابد أن يموت كل الصحـابـة، بل القـرن ما وجـد فيه معظم أهله قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ «**إن القرن يحكم بانقضائه إذا انقرض أكثر أهله**».

فالقرون المفضلة انقرضت ولم يوجد فيها هذا الخلاف الـذي انتشر بعدهم في العقائد، فمن خالف ما كان عليه الصحابة والتابعون فإنه عليه ولا يقبل خلافه.

أما المسائل التي وجد فيها الخلاف في عهد الصحابة وكان فيها مساغ للاجتهاد فلابد أن يكون الخلاف فيها باقياً قال النبي ﷺ: «**إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران، وإن اجتهد فأخطأ فله أجر**»[1] فهذا هو الضابط.

فالواجب على المسلمين جميعاً أن يكونوا أمة واحدة، وأن لا يحصل بينهم تفرق وتحزب بحيث يتناحرون فيما بينهم بأسنة الألسن ويتعادون ويتباغضون من أجل اختلاف يسوغ فيه الاجتهاد فإنهم وإن اختلفوا فيما يختلفون فيه فيما تقتضيه النصوص حسب أفهامهم فإن هذا أمر فيه سعة ولله الحمد، والمهم إئتلاف القلوب واتحاد الكلمة ولا ريب أن أعداء المسلمين يحبون من المسلمين أن يتفرقوا سواءً كانوا أعداءً يصرحون بالعداوة، أو أعداء يتظاهرون بالولاية للمسلمين أو للإسلام وهم ليسوا كذلك.

---

(١) أخرجه البخاري/ كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة/ باب أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ، ومسلم/ كتاب الأقضية/ باب بيان أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ.

الأصــل الثالــث

إنَّ مِنْ تَمام الاجْتِمَاع السَّمْع والطَّاعَة لِمَنْ تأمَّرَ عَلَيْنا وَلو كَانَ عَبْداً حَبَشِياً، فَبَيَّنَ الله هذَا بَيَاناً شَائعاً كَافِياً بوُجُوْه مِنْ أنْوَاع البَيَان شَرْعاً وَقَدراً، ثُمَّ صَارَ هَذَا الأصْلُ لا يُعْرَفُ عِنْدَ أكْثَرِ مِنْ يَدَّعِي العلْم فَكَيْف العَمَل بِهِ.

الشـــــرح

قوله: «**إن من تمام الاجتماع السمع والطاعة.. إلخ**».

ذكر المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ أن من تمام الاجتماع السمع والطاعة لولاة الأمر بامتثال ما أمروا به وترك ما نهوا عنه ولو كان من تأمر علينا عبداً حبشياً.

قوله: «**فبين الله هذا بياناً شائعاً كافياً... إلخ**».

أما بيانه شرعاً: ففي كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ:

فمن بيانه في كتاب الله تعالى قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾ [سورة النساء، الآية: ٥٩] الآية، وقـولـه: **﴿وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا**

فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين﴾ [سورة الأنفال، الآية: ٤٦] وقوله: ﴿**واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا**﴾. [سورة آل عمران، الآية: ١٠٣].

ومن بيانه في سنة رسول الله ﷺ: ما ثبت في الصحيحين من حديث عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال: «**بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا، وعسرنا ويسرنا، وأثره علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله، قال إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان**»(١). وقال عليه الصلاة والسلام: «**من رأى من أميره شيئاً فليصبر فإنه من فارق الجماعة شبراً فمات فميتته جاهلية**»(٢) وقال ﷺ: «**من خلع يداً من الطاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له**»(٣) وقال: «**اسمعوا وأطيعوا وإن أمر عليكم عبد حبشي**»(٤) وقال عليه الصلاة والسلام: «**على**

---

(١) أخرجه البخاري/ كتاب الفتن/ باب قول النبي عليه الصلاة والسلام: «**سترون بعدي أموراً تنكرونها**»، ومسلم/ كتاب الإمارة/ باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية.

(٢) البخاري/ كتاب الفتن/ باب قول النبي عليه الصلاة والسلام: «**سترون بعدي أموراً تنكرونها**»، ومسلم/ كتاب الإمارة/ باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن.

(٣) رواه مسلم/ كتاب الإمارة/ باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن.

(٤) أخرجه البخاري/ كتاب الأحكام/ باب السمع والطاعة للإمام مالم تكن معصية.

المـرء المسلم السمـع والـطاعة فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة»[1] متفق عليه.

وقال عبدالله بن عمر رضى الله عنهما: كنا مع النبي ﷺ في سفر فنزلنا منزلاً فنادى منادي رسول الله ﷺ الصلاة جامعة فاجتمعنا إلى رسول الله ﷺ فقال: **«إنه ما من نبي بعثه الله إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، وينذرهم شر ما يعلمه لهم، وإن أمتكم هذه جعلت عافيتها في أولها، وسيصيب آخـرهـا بلاء وأمور تنكرونها، وتجيء فتنة يرقق بعضها بعضاً، تجي الفتنة فيقول المؤمن هذه مهلكتي، وتجي الفتنـة فيقـول هذه هذه، فمن أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وليأت إلى النـاس الذي يحب أن يؤتي إليه ومن بايع إماماً فأعطاه صفقـة يده وثمـرة قلبـه فليطعه إن استطاع فإن جاءه آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر»**[2] رواه مسلم.

وأمـا بيانه قدراً: فإنه لا يخفى حال الأمة الإسلامية حين كانت متمسكـة بدينهـا، مجتمعـة عليه، معظمة لولاة

---

(١) أخرجه البخاري/ كتاب الأحكام/ باب السمع والطاعة للإمام مالم تكن معصية، ومسلم/ كتاب الإمارة/ باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية.

(٢) مسلم/ كتاب الإمارة/ باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول.

أمورها، منقادة لهم بالمعروف،كانت لها السيادة والظهور في الأرض كما قال تعالى: ﴿**وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنًا يعبدونني لا يشركون بي شيئاً**﴾ [سورة النور، الآية: ٥٥]، وقال تعالى: ﴿**ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور**﴾. [سورة الحج، الآيتان: ٤٠، ٤١].

ولما أحدثت الأمة الإسلامية ما أحدثت وفرقوا دينهم، وتمردوا على أئمتهم، وخرجوا عليهم وكانوا شيعاً نزعت المهابة من قلوب أعدائهم، وتنازعوا ففشلوا وذهبت ريحهم، وتداعت عليهم الأمم وصاروا غثاء كغثاء السيل.

وصار هذا الأصل لا يعرف عند أكثر من يدعي العلم والغيرة على دين الله وترك العمل به ورأى كل فرد من أفراد الرعية نفسه أميراً أو بمنزلة الأمير المنابذ للأمير. فالواجب علينا جميعاً ـ رعاة ورعية ـ أن نقوم بما أوجب الله علينا من التحاب والتعاون على البر والتقوى، والاجتماع على المصالح

لنكـون من الفائزين، وعلينا أن نجتمع على الحق ونتعاون عليه، وأن نخلص في جميع أعمالنا، وأن نسعى لهدف واحد هو إصلاح هذه الأمة إصلاحاً دينياً ودنيوياً بقدر ما يمكن، ولن يمكن ذلـك حتى تتفق كلمتنـا ونـترك المنـازعات بيننا والمعـارضـات التي لا تحقق هدفاً، بل ربما تفوت مقصوداً، وتعدم موجوداً.

إن الكلمـة إذا تفرقت، والرعية إذا تمردت، دخلت الأهواء والضغائن وصار كل واحد يسعى لتنفيذ كلمته وإن تبين أن الحق والعدل في خلافها وخرجنا عن توجيهات الله تعالى حيث يقول: ﴿**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمتـه إخـوانـاً وكنتم على شفـا حفرة من النار فأنقـذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون**﴾.

[سورة آل عمران، الآية: ١٠٣].

فإذا عرفت كل واحد ما له وما عليه وقام به على وفق الحكمة فإن الأمور العامة والخاصة تسير على أحسن نظام وأكمله.

الأصـل الرابـع

بَيَان العَلْمِ والعُلَمَاء، والفِقْهِ والفُقَهَاء، وَبَيَان مَنْ تَشَبَّه بِهِمْ وَلَيْسَ مِنْهُمْ، وَقَدْ بَيَّنَ الله هَذَا الأَصْل في أول سُورَة البَقَرَة مِنْ قَوْلِهِ: ﴿يابَني إسْرَائِيل أذْكُرُوا نِعْمَتِي التي أنْعَمْتُ عَلَيْكم وأوَفُوا بِعَهْدي أوْفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ [سورة البقرة، الآية: ٤٠]. إلى قوله: ﴿يا بَني إسْرائِيل أذْكُرُوا نِعْمَتِي التي أنْعَمْتُ عَلَيْكُم وأني فَضَلْتُكُم عَلى العَالَمِين﴾، [سورة البقرة، الآية: ٤٧]. ويَزِيدَه وضُوحاً ما صَرَّحَتْ بِهِ السُّنَّة في هذا الكَلَام الكَثِير البَيِّن الواضِحْ للعَامِي البَلِيد، ثُمَّ صَارَ هَذا أغْرَب الأشْيَـاء، وَصَارَ العِلْم والفِقْهُ هُوَ البِدَع والضَلالات، وخَيَار ما عِنْدَهُم لَبْس الحقِّ بالبَاطِلِ، وَصَار العَلْمُ الذي فَرَضَهُ الله تعالى على الخلق وَمَدَحَه لا يَتَفَوَّه بِهِ إلا زِنْدِيق أو مَجْنُون، وَصَار مَنْ أنْكَرَهُ وعَادَاهُ وصَنَّفَ في التَّحْذِير مِنْه والنَّهْيَ عَنْهُ هُوَ الفَقِيه الْعَالِم.

الشـــــرح

قوله: «بيان العلم والعلماء، والفقه والفقهاء. . . إلخ»

المراد بالعلم* هنا العلم الشرعي وهو: «علم ما أنزل الله على رسوله من البينات والهدى» والعلم الذي فيه المدح والثناء هو علم الشرع

(*) انظر في هذا الكتاب الفذ لشيخنا «كتاب العلم». وقد صدر حديثا.

علم ما أنـزله الله على رسوله ﷺ من الكتاب والحكمة قال الله تعالى: ﴿**قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب**﴾، [سورة الزمر، الآية: ٩] وقال النبي ﷺ: «**من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين**»(١) وقال النبي ﷺ: «**إن الأنبياء لم يورثـوا ديناراً ولا درهماً إنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر**»(٢) ومن المعلوم أن الذي ورثه الأنبياء إنما هو علم الشريعة، ومع هذا فنحن لا ننكر أن يكون للعلوم الأخرى فائدة، ولكنها فائدة ذات حدين: إن أعانت على طاعة الله وعلى نصر دين الله وانتفع بها عباد الله كانت خيراً ومصلحة، وقد ذكر بعض أهل العلم أن تعلم الصناعات فرض كفاية وهذا محل نظر ونزاع.

وعلى كل حال فالعلم الذي ورد الثناء فيه وعلى طالبيه هو فقه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وما عدا ذلك فإن كان وسيلة إلى

---

(١) أخرجه البخاري/ كتاب العلم/ باب من يرد الله به خيراً، ومسلم/ كتاب الزكاة/ باب النهي عن المسألة.

(٢) أخرجه الإمام أحمد جـ٥ ص١٩٦، وأبوداود (٣٦٤١) والترمذي (٢٦٨١) وابن ماجه (٢٢٣) والدارمي (٣٣٨) والبغوي في «شرح السنة» جـ١ ص٢٧٥ برقم [١٢٩]، والهيثمي في «موارد الظمآن» [٨٠]، قال الحافظ في «الفتح» جـ١ ص١٦٠ «وله شواهد يتقوى بها».

خير فهو خير، وإن كان وسيلة إلى شر فهو شر، وإن لم يكن وسيلة لهذا وهذا فهو ضياع وقت ولغو.

والعلم له فضائل كثيرة:

منها: أن الله يرفع أهل العلم في الآخرة وفي الدنيا، أما في الآخرة فإن الله يرفعهم درجات بحسب ما قاموا به من الدعوة إلى الله والعمل بما عملوا، وفي الدنيا يرفعهم الله بين عباده بحسب ما قاموا به قال الله تعالى: ﴿**يرفع الله الذين آمنوا منكُم والذينَ أوتوا العِلَم دَرَجَاتٍ**﴾ [سورة المجادلة، الآية: ١١].

ومنها: أنه إرث النبي ﷺ كما قال النبي ﷺ: «**إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً إنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر**»(١).

ومنها: أنه مما يبقى للإنسان بعد مماته فقد ثبت في الحديث أن النبي ﷺ قال: «**إذا مات العبد انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح**»(٢).

---

(١) تقدم انظر ص١٦٤.

(٢) أخرجه مسلم/ كتاب الوصية/ باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته.

ومنها: أن الرسول ﷺ لم يرغب أحداً أن يغبط أحداً على شيء من النعم إلا على نعمتين هما:

١ ـ طلب العلم والعمل به.

٢ ـ الغني الـذي جعـل ماله خدمة للإسلام، فعن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه قال رسول الله ﷺ: «**لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله حكمةً فهو يقضي بها ويعلمها**» (١).

ومنها: أن العلم نور يستضيء به العبد فيعرف كيف يعبد ربه وكيف يعامل غيره، فتكون مسيرته في ذلك على علم وبصيرة.

ومنهـا: أن العـالم نور يهتـدي به النـاس في أمور دينهم ودنياهم، ولا يخفى على كثير من الناس قصة الرجل الذي من بني إسرائيل قتـل تسعاً وتسعين نفساً فسأل رجلاً عابداً هل له من توبة. فكأن العابد استعظم الأمر فقال: «لا» فقتله السائل فأتم به المئة، ثم ذهب إلى عالم فسأله فأخبره أن له توبة وأنه لا شيء يحول بينه وبين التوبة، ثم دله على بلد أهله صالحون ليخرج إليه

---

(١) رواه البخاري / كتاب العلم / باب الاغتباط في العلم والحكمة. ومسلم / كتاب المسافرين من كتاب الصلاة / باب من يقوم بالقرآن ويعلمه.

فخـرج فأتاه الموت في أثناء الطريق، والقصة مشهورة (١) فانظر الفرق بين العالم والجاهل.

إذا تبين ذلك فلابد من معرفة من هم العلماء حقاً، هم الربانيون الذين يربون الناس على شريعة ربهم حتى يتميز هؤلاء الربانيون عمن تشبه بهم وليس منهم، يتشبه بهم في المظهر والمنظر والمقـال والفعـال، لكنـه ليس منهم في النصيحة للخلق وإرادة

---

(١) نص القصة: عن أبي سعيد سعد بن مالك بن سنان الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «كان فيمن قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفساً فسأل عن أعلم أهل الأرض؛ فدل على راهبٍ فأتاهُ فقال إنّهُ قتل تسعة وتسعين نفساً فهل له من توبةٍ؟ فقال: لا. فقتله فكمّل به مئة، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض، فدل على رجل عالم فقال: إنّه قتل مئة نفسٍ فهل له من توبة؟ فقال: نعم؛ ومن يحول بينك وبين التوبة؟! انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أُناساً يعبدون الله تعالى فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوءٍ، فانطلق حتى إذا نصف الـطريق أتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب. فقالت ملائكة الرحمة: جاء تائباً مقبلاً بقلبه إلى الله تعالى! وقالت ملائكة العذاب، إنه لم يعمل خيراً قط، فأتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم ـ أي حكماً ـ فقال: قيسوا ما بين الأرضين فإلى أيتهما كان أدنى فهو له، فقاسوا فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد فقبضته ملائكة الرحمة» وفي رواية الصحيح: «فكـان إلى القـرية الصـالحـة أقـرب بشبر فجعل من أهلها» وفي رواية في الصحيح: «فأوحى الله تعالى إلى هذه أن تباعدي وإلى هذه أن تقرّبي». وقال: «قيسوا ما بينهما، فوجدوه إلى هذه أقرب بشبرٍ فغفر له». وفي رواية: «فنأى بصدره نحوها» أخرجه البخاري/ كتاب الأنبياء/ باب ما ذكر عن بني إسرائيل، ومسلم/ كتاب التوبة/ باب قبول توبة القاتل رقم [٤٦ ـ ٤٧ ـ ٤٨] جـ٤ ص٢١١٨ ولمزيد من الفائدة راجع شرح فضيلة شيخنا على هذا الحديث في «شرح رياض الصالحين» جـ ١/ كتاب التوبة حديث رقم (٢١) ولا يزال العمل فيها جارٍ.

الحق، فخيار ما عنده أن يلبس الحق بالباطل ويصوغه بعبارات مزخرفة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً، بل هو البدع والضلالات الذي يظنه بعض الناس هو العلم والفقه وأن ما سواه لا يتفوه به إلا زنديق أو مجنون.

هذا معنى كلام المؤلف ـ رحمه الله ـ وكأنه يشير إلى أئمة أهل البدع المضلين الذين يلمزون أهل السنة بما هم بريئون منه ليصدوا الناس عن الأخذ منهم، وهذا إرث الذين طغوا من قبلهم وكذبوا الرسل كما قال الله تعالى: ﴿**كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون**﴾ [سورة الذاريات، الآية: ٥٢]. قال الله تعالى: ﴿**أتواصوا به بل هم قوم طاغون**﴾. [سورة الذاريات، الآية: ٥٣].

الأصل الخامس

بَيَانُ الله سُبْحَانَهُ لأَوْلِيَاء الله وَتَفْرِيقه بَيْنَهُمْ وبَيْنَ المُتَشَبهينَ بِهِمْ مِنْ أَعْدَاء الله المُنَافِقِينَ والفُجَّار، وَيَكْفِي في هَذَا آيةٌ من سُورة آل عمران وهي قوله: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُون الله فاتْبِعُوني يُحْبِبْكُمْ الله﴾ [سورة آل عمران، الآية: ٣١]. الآية، وآية في سورة المائدة وهي قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الذِين آمَنُوا مَنْ يَرْتَد مِنْكُم عَنْ دِينِهِ فَسَوْف يَأتي الله بِقَوْم يُحِبُّهُم ويُحِبُونَهُ﴾ [سورة المائدة، الآية: ٥٤]. الآية، وآية في يونس وهي قوله: ﴿ألا إنَّ أولياء الله لا خَوْفٌ عَلَيْهُمْ ولا هُمْ يَحْزَنُون الذين آمَنُوا وكَانوُا يَتَّقُون﴾ [سورة يونس، الآية: ٦٢]، ثُمَ صَار الأَمْرَ عِنْد أَكْثَر من يَدَعي العِلْم وأَنَّهُ مِنْ هُدَاة الخلق وحُفَاظْ الشَرْع إلى أنَّ الأَوْلياء لابُدَ فِيهِمْ مِنْ تَرْك اتِبَاع الرُسُل ومَنْ تَبِعَهُم فَلَيْس مِنْهُم وَلابُد مِنْ تَرَك الجِهَاد فَمَنْ جَاهَدَ فَلَيْس مِنْهُم، ولابُدَ مِنْ تَرْك الإِيمان والتَقْوَى فَمَنْ تَعَهّدْ بالإيمان والتّقْوى فَلَيْس مِنْهُمْ يا رَبَّنَا نَسْأَلك العَفُو والعَافِيَة إنَّك سَمِيعُ الدُّعَاءِ.

الشـــــرح

قوله: «بيان الله سبحانه لأولياء الله.. إلخ»

أولياء الله تعالى هم الذين امنوا به واتقوه واستقاموا على دينه

وهم من وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿**ألا إن أولياء الله لا خوف** عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون﴾ فليس كل من يدعي الولاية يكون ولياً، وإلا لكان كل واحد يدعيها، ولكن يوزن هذا المدعي للولاية بعمله، إن كان عمله مبنياً على الإيمان والتقوى فإنه ولي، وإلا فليس بولي.

وفي دعواه الولاية تزكية لنفسه وذلك ينافي تقوى الله ـ عز وجل ـ لأن الله تعالى يقول: ﴿**فلا تُزكوا أنفُسكم هُوَ أعلم بمن اتقى**﴾ [سورة النجم، الآية: ٣٢]. فإذا أدعى أنه من أولياء الله فقد زكى نفسه وحينئذ يكون واقعاً في معصية الله وفيما نهاه الله عنه وهذا ينافي التقوى، فأولياء الله لا يزكون أنفسهم بمثل هذه الشهادة، وإنما هم يؤمنون بالله ويتقونه، ويقومون بطاعته سبحانه وتعالى على الوجه الأكمل، ولا يغرون الناس ويخدعونهم بهذه الدعوى حتى يضلوهم عن سبيل الله تعالى.

فهؤلاء الذين يدعون أنفسهم أحياناً أسياداً، وأحياناً أولياء لو تأمل الإنسان ما هم عليه لوجدهم أبعد ما يكونون عن الولاية والسيادة فنصيحتي لإخواني المسلمين أن لا يغترون بمدعي الولاية حتى يقيسوا حاله بما جاء في النصوص في أوصاف أولياء الله.

وقد أشار الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ إلى علامة محبة الله

وولايته بما ساقه من الآيات:

الآية الأولى: قوله تعالى في آل عمران: ﴿**قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله**﴾ [سورة آل عمران، الآية: ٣١]. وهذه الآية تسمى آية المحنة أي الامتحان حيث ادعى قوم محبة الله تعالى فأنزل الله هذه الآية فمن ادعى محبة الله تعالى نظرنا في عمله فإن كان متبعاً لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فهو صادق وإلا فهو كاذب.

الآيـة الثـانية: قوله تعالى في المائدة: ﴿**يا أيها الذين آمنـوا من يرتـد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبـونه**﴾، [سورة المائدة، الآية: ٥٤]. الآيتين فوصفهم بأوصاف هي علامة المحبة وثمراتها:

الـوصف الأول: أنهم أذلـة على المؤمنين فلا يحاربونهم ولا يقفون ضدهم ولا ينابذونهم.

الوصف الثاني: أنهم أعزة على الكافرين أي أقوياء عليهم غالبون لهم.

الـوصف الثـالث: أنهم يجاهدون في سبيل الله أي يبذلون الجهد في قتال أعداء الله لتكون كلمة الله هي العليا.

الوصف الرابع: أنهم لا يخافون في الله لومة لائم. أي إذا لامهم أحد على ما قاموا به من دين الله لم يخافوا لومته، ولم

يمنعهم ذلك من القيام بدين الله عز وجل.

الآية الثالثة: قوله تعالى في يونس: ﴿**ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون**﴾ [سورة يونس، الآية:٦٢]. فبين الله تعالى أن أولياء الله تعالى هم الذين اتصفوا بهذين الوصفين: الإيمان والتقوى فالإيمان بالقلب، والتقوى بالجوارح، فمن ادعى الولاية ولم يتصف بهذين الوصفين فهو كاذب.

ثم إن الشيخ ـ رحمه الله ـ بين أن الأمر صار على العكس عند أكثر من يدعى العلم وأنه من هداة الخلق وحفاظ الشرع فالولي عنده من لا يتبع الرسل ولا يجاهد في سبيل الله ولا يؤمن به ولا يتقيه.

ويحسن بنا أن ننقل هنا ما كتبه شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ في رسالته: «الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان»[1] ونسوق ما تيسر منها:

قال ـ رحمه الله ـ: «وقد بين سبحانه وتعالى في كتابه وسنة رسوله ﷺ أن لله أولياء من الناس، وللشيطان أولياء، ففرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان فقال تعالى: ﴿**ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا**

---

(١) مجموع الفتاوى جـ١، ص١٥٦.

يتقـون لهم البشرى في الحيـاة الـدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلـك الفـوز العظيم﴾» [سورة يونس، الآيات: ٦٢ ـ ٦٤]. وذكر أولياء الشيطان فقال تعالى: ﴿**فإذا قرأت القرآن فاستعـذ بالله من الشيطان الرجيم إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون**﴾ [سورة النحل، الآيات: ٩٨ ـ ١٠٠]. فيجب أن يفرق بين هؤلاء وهؤلاء كما فرق الله ورسوله بينهما، فأولياء الله هم المؤمنون المتقون. . . . وهم الذين آمنوا به ووالوه، فأحبـوا ما يحب، وابغضـوا ما يبغض، ورضوا بما يرضى، وسخطوا بما يسخط، وأمروا بما يأمر، ونهوا عما نهى، واعطوا من يحب أن يعطى، ومنعوا من يحب أن يمنع. . فلا يكون ولياً لله إلا من آمن به وبما جاء به، واتبعه باطناً وظاهراً، ومن ادعى محبـة الله وولايته وهو لم يتبعه أي الرسول فليس من أولياء الله، بل من خالفه كان من أعداء الله وأولياء الشيطان قال تعالى: ﴿**قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله**﴾ [سورة آل عمران، الآية: ٣١]. فالناس متفاضلون في ولاية الله ـ عز وجـل ـ بحسب تفـاضلهم في الإيمان والتقـوى، وكـذلـك يتـفـــاضـلون في عداوة الله بحسب تفـــاضلهم في الكفـــر والنفـاق. . وأولياء الله على طبقتـين: سابقـون مقـربـون،

وأصحـاب يمين مقتصدون ذكرهم الله في عده مواضع من كتـابه العزيز في أول سورة الواقعة وآخرها، وفي الإنسان، والمـطففين، وفي سورة فاطر. . . . والجنة درجات متفاضلة تفاضلاً عظيماً، وأولياء الله المؤمنون المتقون في تلك الدرجات بحسب إيمانهم وتقواهم.

فمن لم يتقـرب إلى الله لا يفعـل الحسنـات ولا يترك السيئات لم يكن من أولياء الله فلا يجوز لأحد أن يعتقد أنه ولي لله لا سيما أن تكون محجته على ذلك إما مكاشفة سمعها منه، أو نوع من تصرف. . . فلا يجوز لأحد أن يستدل بمجرد ذلك على كون الشخص ولياً لله وإن لم يعلم منه ما ينقض ولاية الله، فكيف إذا علم منه ما يناقض ولاية الله؟! مثل أن يعلم أنه لا يعتقد وجوب اتباع النبي ﷺ باطناً وظاهراً، بل يعتقد أنـه يتبع الشرع الظاهر دون الحقيقة الباطنة، أو يعتقد أن لأولـياء الله طريقـاً إلى الله غير طريق الأنـبـياء عليهـم السـلام. . . فعـلى هذا فمن أظهـر الـولاية وهـو لا يؤدي الفرائض ولا يجتنب المحارم بل قد يأتي بما يناقض ذلك لم يكن لأحـد أن يقـول هذا وليّ لله. . . وليس لأولياء الله شيء يتميزون به عن الناس في الظاهر من الأمور المباحات. . .

وليس من شرط ولي الله أن يكـــون معصـومـاً لا يغلط ولا يخطىء، بل يجوز أن يخفى عليه بعض علم الشريعة ويجوز أن يشتبه عليه بعض أمور الدين. . . ولهذا لما كان ولي الله يجوز أن يغلط لم يجب على الناس الإيمان بجميع ما يقوله من هو ولي لله لئلا يكون نبياً. . . بل يجب أن يعرض ذلك جميعه على ما جاء به محمد ﷺ فإن وافقه قبله، وإن خالفه لم يقبله، وإن لم يعلم أموافق هو أم مخالف؟ توقف فيه،والناس في هذا الباب ثلاثة أصناف طرفان ووسط، فمنهم من إذا اعتقد في شخص أنه ولي لله وافقه في كل ما يظن أنه حدث به قلبه عن ربه وسلم إليه جميع ما يفعله، ومنهم من إذا رآه قد قال أو فعل ماليس بموافق للشرع أخرجه عن ولاية الله بالكلية وإن كان مجتهـداً مخطئـاً. وخيار الأمـور أوسـاطها: وهو أن لا يجعل معصوماً ولا مأثوماً إذا كان مجتهداً مخطئاً، فلا يتبع في كل ما يقوله، ولا يحكم عليه بالكفر والفسق مع اجتهاده، والواجب على الناس اتباع ما بعث الله به رسوله. . . وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها على أن كل واحد يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ وهـذا من الفـروق بين الأنبياء وغـيرهم، فالأنبياء صلوات الله عليه وسلامه يجب لهم الإيمان بجميع ما يخبرون به عن الله عز وجل وتجب طاعتهم فيما يأمرون به، بخلاف

الأولياء فإنهم لا تجب طاعتهم في كل ما يأمـــرون به، ولا الإيمان بجميع ما يخبرون به بل يُعْرَضُ أمرهم وخبرهم على الكتـاب والسنـة فما وافق الكتاب والسنة وجب قبوله، وما خالف الكتـاب والسنـة كان مردوداً، وإن كان صاحبه من أولياء الله وكان مجتهداً معذوراً فيما قاله، له أجر على اجتهاده، لكنـه إذا خالف الكتاب والسنة كان مخطئاً وكان من الخطأ المغفور إذا كان صاحبه قد اتقى الله ما استطاع. . . وهذا الذي ذكرته من أن أولياء الله يجب عليهم الاعتصام بالكتاب والسنة، وأنه ليس فيهم معصوم يسوغ له أو لغيره اتباع ما يقع في قلبه من غير اعتبار بالكتاب والسنة هو مما اتفق عليه أولياء الله عز وجل ومن خالف في هذا فليس من أولياء الله سبحانه الـذين أمر الله باتباعهم، بل إما أن يكون كافراً، وإما أن يكـون مفرطاً في الجهل. . . وكثير من الناس يغلط في هذا الموضع فيظن في شخص أنه ولي لله، ويظن أن ولي الله يقبل منه كل ما يقوله، ويسلم إليه كل ما يقوله ويسلم إليه كل ما يفعله وإن خالف الكتاب والسنة فيوافق ذلك له، ويخالف ما بعث الله به رسوله الذي فرض الله على جميع الخلق تصديقه فيما أخـبر، وطـاعتـه فيما أمـر، وجعله الفـارق بين أوليائـه وأعـدائـه، وبـين أهـل الجنـة وأهـل النار، وبين السعداء

والأشقياء، فمن اتبعه كان من أولياء الله المتقين وجنده المفلحين وعباده الصالحين، ومن لم يتبعه كان من أعداء الله الخاسرين المجرمين فتجره مخالفة الرسول وموافقة ذلك الشخص أولاً إلى البدعة والضلال، وآخراً إلى الكفر والنفاق. . . وتجد كثيراً من هؤلاء عمدتهم في اعتقاد كونه ولياً لله أنه قد صدر عنه مكاشفة في بعض الأمور، أو بعض التصرفات الخارقة للعادة. . . وليس في شيء من هذه الأمور ما يدل على أن صاحبها ولي لله بل قد اتفق أولياء الله على أن الرجل لو طار في الهواء أو مشى على الماء لم يغتر به حتى ينظر متابعته لرسول الله ﷺ وموافقته لأمره ونهيه. . . وكرامات أولياء الله تعالى أعظم من هذه الأمور، وهذه الأمور الخارقة للعادة وإن كان صاحبها ولياً لله فقد يكون عدواً لله فإن هذه الخوارق تكون لكثير من الكفار والمشركين وأهل الكتاب والمنافقين، وتكون لأهل البدع، وتكون من الشياطين فلا يجوز أن يظن أن كل من كان له شيء من هذه الأمور أنه ولي لله، بل يعتبر أولياء الله بصفاتهم وأفعالهم وأحوالهم التي دل عليها الكتاب والسنة ويعرفون بنور الإيمان والقرآن وبحقائق الإيمان الباطنة وشرائع الإسلام الظاهرة. . . وقد أتفق سلف الأمة وأئمتها وسائر أولياء الله تعالى على أن الأنبياء أفضل من

الأولياء الذين ليسوا بأنبياء وقد رتب الله عباده السعداء المنعم عليهم «أربع مراتب» فقال الله تعالى: ﴿**وَمَن يُطع الله والرّسُول فأولئك مع الذّينَ أَنعَمَ الله عليهم من النّبيين والصّديقين والشُّهداء والصالحين وحسُن أولئك رفيقاً**﴾ [سورة النساء، الآية: ٦٩]. . . ولهم الكرامات التي يكرم الله بها أولياءه المتقين وخيار أولياء الله كراماتهم لحجة في الدين أو لحاجة بالمسلمين كما كانت معجزات نبيهم ﷺ كذلك، وكرامات أولياء الله إنما حصلت ببركة اتباع رسول الله ﷺ فهي في الحقيقة تدخل في معجزات الرسول ﷺ . . . . ومما ينبغي أن يعرف أن الكرامات قد تكون بحسب حاجة الرجل فإذا احتاج إليها لضعف الإيمان أو المحتاج أتاه منها ما يقوى إيمانه ويسد حاجته، ويكون من هو أكمل ولاية لله منه مستغنياً عن ذلك فلا يأتيه مثل ذلك لعلو درجته وغناه عنها لا لنقص ولايته، ولهذا كانت هذه الأمور في التابعين أكثر منها في الصحابة. بخلاف من يجري على يديه الخوارق لهدي الخلق ولحاجتهم فهؤلاء أعظم درجة. . . والناس في خوارق العادات على ثلاثة أقسام:

قسم يكذب بوجود ذلك لغير الأنبياء، وربما صدق به مجملاً، وكذب ما يذكر له عن كثير من الناس لكونه عنده

ليس من الأولياء.

ومنهم من يظن أن كل من كان له نوع من خرق العادة كان ولياً لله. وكلا الأمرين خطأ... ولهذا تجد أن هؤلاء يذكرون أن للمشركين وأهل الكتاب نصراء يعينونهم على قتال المسلمين وأنهم من أولياء الله، وأولئك يكذبون أن يكون معهم من له خرق عادة والصواب القول الثالث وهو أن معهم من ينصرهم من جنسهم لا من أولياء الله عز وجل.

وفيما نقل كفاية إن شاء الله تعالى ومن أراد المزيد فليرجع إلى الأصل والله الموفق.

الأصل السادس

رَدُ الشُّبْهَة التي وَضَعَها الشَّيْطانُ في تَرْكِ القُرْآن والسُّنَّة واتِّبَاع الآرَاء والأهْوَاء المُتَفرقَة المُخْتَلفَة، وهي أنَّ القُرْآنُ والسُّنَّة لا يَعْرفْهما إلا المُجْتَهد المُطْلَق، والمُجْتَهِدُ هُوَ المَوْصُوف بكَذا وكَذا أوْصَافاً لعَلَّهَا لا تُوجَدْ تامَّة في أبي بكر وعمر، فَإن لَمْ يَكُنْ الإنْسَان كَذَلِكَ فَلْيَعْرِض عنهما فَرْضاً حَتْماً لاشَك ولا أشكال فيه، ومَنْ طَلَبَ الهُدَى مِنْهما فَهُو إمَّا زِنْدِيق، وإمَّا مَجْنُون لأجل صُعُوبَة فَهْمِهما، فَسُبْحان الله وبحَمْدِه كَمْ بين الله سُبْحَانَهُ شَرْعاً وقَدراً، خلقاً وأمراً في رَدْ هَذِه الشُّبْهَة المَلْعُونَة مِنْ وُجُوه شَتَى بَلَغَت إلى حَدْ الضَرُوريات العَامَة ولَكِنَّ أكْثَر النَاس لا يَعْلَمُون ﴿لقَدْ حَقَّ القَوْل على أكْثَرُهُم فَهُمْ لا يُؤمِنُون إنَّا جَعَلْنا في أعْنَاقِهِم أغْلالاً فَهي إلى الأذْقَانْ فَهُمْ مُقْمِحُون وَجعلنا مِنْ بَيْن أيْدِيهم سَداً ومِنْ خَلْفِهِمْ سَداً فَأغْشَيْنَاهُم فَهُمْ لا يُبْصِرُون وسَواء عَلْيهم أأنذرتهم أم لم تَنْذرهم لا يُؤمنون إنَّما تُنْذِرْ مَنْ اتَّبَع الذِّكْر وخشي الرحْمَن بالغيب فَبَشِّرُهُ بمَغْفِرة وأجْرٌ كَريم﴾. [سورة يس، الآيات: ٧ ـ ١١].

آخِرَهُ والحَمْدُ لله رَبِّ العَالَمِين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كَثِيراً إلى يَوْمِ الدِّين.

الشـــــرح

قولـه: «رد الشبهـة التي وضعهـا الشيطان في ترك القرآن والسنة واتباع الآراء والأهواء المتفرقة المختلفة. . . إلخ».

الاجتهاد لغة: بذل الجهد لإدراك أمر شاق.

واصطلاحاً: بذل الجهد لإدراك حكم شرعي.

والاجتهاد له شروط منها:ـ

١ـ أن يعلم من الأدلة الشرعية ما يحتاج إليه في اجتهاده كآيات الأحكام وأحاديثها.

٢ـ أن يعـرف ما يتعلق بصحة الحديث وضعفه كمعرفة الإسناد ورجاله وغير ذلك.

٣ـ أن يعـرف النـاسـخ والمنسوخ ومواقع الاجماع حتى لا يحكم بمنسوخ أو مخالف للاجماع.

٤ـ أن يعرف من الأدلة ما يختلف به الحكم من تخصيص أو تقييد أو نحوه حتى لا يحكم بما يخالف ذلك.

٥ـ أن يعرف من اللغة وأصول الفقه ما يتعلق بدلالات الألفاظ كالعام والخاص، والمطلق والمقيد، والمجمل والمبين ونحو ذلك ليحكم بما تقتضيه تلك الدلالات.

٦ـ أن يكون عنده قدرة يتمكن بها من استنباط الأحكام من أدلتها.

والاجتهاد يتجزأ فيكون في باب واحد من أبواب العلم، أو في مسألة من مسائلة، والمهم أن المجتهد يلزمه أن يبذل جهده في معرفة الحق ثم يحكم بما يظهر له فإن أصاب فله أجران: أجر على اجتهاده وأجر على إصابه الحق؛ لأن في إصابة الحق إظهاراً له وعملاً به، وإن أخطأ فله أجر واحد والخطأ مغفور له لقوله ﷺ: «**إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر**»(١) وإن لم يظهر له الحكم وجب عليه التوقف وجاز التقليد حينئذ للضرورة لقوله تعالى: ﴿**فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون**﴾ [سورة النحل، الآية: ٤٣]. ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: «إن التقليد بمنزلة أكل الميتة فإذا استطاع أن يستخرج الدليل بنفسه فلا يحل له التقليد» وقال ابن القيم ـ رحمه الله ـ في النونية:

العلم معرفة الهدى بدليل ماذاك والتقليد يستويان

والتقليد يكون في موضعين:

الأول: أن يكون المقلد عامياً لا يستطيع معرفة الحكم بنفسه ففرضه التقليد لقوله تعالى: ﴿**فاسألوا أهل الذكر إن**

---

(١) رواه البخاري/ كتاب الاعتصام/ باب أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ، ومسلم/ كتاب الأقضية/ باب بيان أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ.

كنتم لا تعلمـون﴾ ويقلد أفضل من يجده علماً وورعاً، فإن تساوى عنده إثنان خير بينهما.

الثـاني: أن يقـع للمجتهـد حادثة تقتضي الفورية ولا يتمكن من النظر فيها فيجوز له التقليد حينئذٍ.

والتقليد نوعان: عام وخاص.

فالعام: أن يلتزم مذهباً معيناً يأخذ برخصه وعزائمه في جميع أمور دينه، وقد اختلف العلماء فيه:

فمنهم من حكى وجوبه لتعذر الاجتهاد في المتأخرين.

ومنهم من حكى تحريمه لما فيه من الالتزام المطلق لا تباع غير النبي ﷺ، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ «إن في القول بوجوب طاعة غير النبي ﷺ في كل أمره ونهيه هو خلاف الاجماع وجوازه فيه ما فيه».

والخاص: أن يأخذ بقول معين في قضية معينة فهذا جائز إذا

عجـز عن معـرفـة الحق بالاجتهاد سواءً عجز عجزاً حقيقياً، أو استطاع ذلك مع المشقة العظيمة.

وبهـذا انتهت رسالـة الأصـول الستـة فنسأل الله تعالى
أن يثيب مؤلفها أحسن الثواب وأن يجمعنا وإياه
في دار كرامته إنه جـــواد كريـــم
والحمد لله رب العالمين
وصلى الله وسلم على
نبينا محمـــد

* * *

الفهرس

فهرس شرح الأصول الستة ١٣٩
- شـــرح البسـملـة ١٤١
- عناية شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب الرسائل
المختصرة التي يفهمها العامة ١٤٣
- ذكر الأصول الستة على وجه الاجمال ١٤٣
* **الأصـل الأول**: الاخـلاص ١٤٤
- تعريفـــه ١٤٤
- الأدلة على وجوب الاخلاص ١٤٤
- النبي عليه الصلاة والسلام جاء بتحقيق التوحيد
وتخليصه من كل شائبة ١٤٥
- أنواع الشرك: ١٤٧
- النوع الأول: شرك أكبر ١٤٧
- النوع الثاني: شرك أصغر ١٤٧
- بيان خطر الرياء ١٤٨
- بيان خطر الشرك وأنه خفي ١٤٩
- إبراهيم عليه السلام خاف الشرك كما حكى الله عنه ١٤٩
- التأمل في قوله (واجنبني) ولم يقل (وامنعني) ١٤٩
* **الأصـل الثاني**: الاجتماع على الدين والنهي عن التفرّق ١٥١
- الأدلة من القرآن على الأمر بالاجتماع والنهي عن التفرّق ١٥١
- الأدلة من السنة على الأمر بالاجتماع والنهي عن التفرّق ١٥٢
- عمل السلف الصالح في مسائل الخلاف ١٥٥
- الواجب على المسلمين أن يكونوا أمة واحدة ١٥٧
* **الأصـل الثالث**: السمع والطاعة لمن تأمر علينا ١٥٨

- بيان الأدلة على السمع والطاعة من القرآن ١٥٨
- بيان الأدلة على السمع والطاعة من السنة ١٥٩
- بيان وجوب السمع والطاعة من القدر ١٦٠
- هذا الأصل لا يعرف عند أكثر من يدعي العلم والغيرة ١٦١
- الواجب تجاه ولاة الأمر السمع والطاعة ١٦١
- الواجب التحاب والتعاون على البر والتقوى من الرعاة والرعية ... ١٦١
* **الأصل الرابع**: بيان العلم والعلماء والفقه والفقهاء
وبيان من تشبه بهم وليس منهم ١٦٣
- المراد بالعلم الشرعي ١٦٣
- العلم الذي ورد الثناء فيه وعلى طالبيه هو فقه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ١٦٣
- فضـــائـل العلـــم ١٦٥
- أن الله يرفع أهل العلم في الآخرة والدنيا ١٦٥
- أنه أرث النبي صلى الله عليه وسلم ١٦٥
- أن الرسول ﷺ لم يرغب أحداً أن يغبط أحداً على شيء من
النعم إلا على نعمتين هما: العلم ـ وصاحب المال
الذي جعل ماله خدمة للإسلام ١٦٦
- أن العلم نور يستضيء به العبد ١٦٦
- أن العالم نور يهتدي به الناس ١٦٦
- وجوب معرفة العلماء الربانيين ١٦٧
* **الأصل الخامس**: بيان الله سبحانه لأولياء الله وتفريقه بينهم
وبين المتشبهين بهم من أعداء الله المنافقين والفجار ١٦٩
- تعريف أولياء الله ١٦٩
- ليس كل من يدعي الولاية يكون ولياً ١٧٠
- ميزان يوزن به المدعي للولاية ١٧٠

- حكم من يدعي أنه من أولياء الله ١٧٠
- علامة محبة الله وولايته من القرآن ١٧٠
- أوصاف الأولياء لله عز وجل ١٧١
- كلام شيخ الإسلام في رسالته: «الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان» ١٧٢
* **الأصل السادس**: ردّ شبهة التي وضعها الشيطان في ترك القرآن والسنة واتباع الآراء والأهواء المتفرقة ١٨٠
- الاجتهاد تعريفه وشروطه ١٨١
- ما يلزم المجتهد فعله ١٨٢
- إذا لم يظهر للمجتهد الحكم وجب عليه التوقف ويجوز له التقليد للضرورة ١٨٢
- التقليد يكون في موضعين ١٨٢
- الأول: أن يكون المقلد عامياً ١٨٢
- الثاني: أن يقع للمجتهد حادثة تقتضي الفورية ١٨٣
- التقليد نوعان: ١٨٣
- الأول: عام وشرحه ١٨٣
- الثاني: خاص. وشرحه ١٨٣
- الخاتمة ١٨٤

تم فهرس شرح الأصول الستة

والحمد لله رب العالمين